جمعية الدعوة والارشاد

(٣٩: ٤٦ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

أشهد الله وملائكته والصالحين من عباده بأني سعيت الى إنفاذ مشروع الدعوة والارشاد في القسطنطينية وأنا أعتقد اعتقادا راسخا لازلزال فيه ولا اضطراب انه انفع مايخدم به دين الاسلام في نفسه وانه أقرب الطرق لارتقاء المسلمين في دينهم ودنياهم وان البلاد العثمانية ستكون هي التي تجني بواكر ثمراته وأن سيكون من هذه الثمرات ائتلاف الشعوب العثمانية وتعاونها على ترقية البلاد في العلوم والاداب والثروة والعمران وشدة الاتحاد بالدولة ومنع الفتن والثورات الداخلية لان المرشدين للعامة إذا كانوا من العلماء الاتقياء الخطباء يكون تأثيرهم أقوى من كل تأثير

سعيت الى انفاذ المشروع هناك فرأيت جميع العقلاء حتى من غير المسلمين متفقين على نفعه وفائدته وكونه لا يحل محله سواه حتى ان جريدة صباح ولا توركي أثنتا عليه وهما لغير المسلمين ولكن تصدى لمقاومته رجلان من المسلمين أحدهما من رجال الحكومة وجمعية الاتحاد والترقي والآخر من المبعوثين ، قاوماه في الباطن ، وهما يدعيان المساعدة عليه في الظاهر ، فاما رجل الحكومة والجمعية فلا أصرح باسمه الآن ويعرفه جميع أعضاء جمعية العلم والارشاد التي أسسناها هناك وأكثر أهل البصيرة في الاستانة من العلماء وغيرهم ، وأما المبعوث فهو عبيدالله افندي مبعوث أزمير وصاحب الجريدة المسماة بالعرب ، .

أقمت في الاستانة سنة كاملة كما علم قراء المنار ومعظم أعمالي في مصر معطلة ثم عدت ولا يزال يبلغني من بعض أصحاب الشأن في حكومتها انهم يريدون تنفيذ المشروع الذي وافقوا عليه فيها وعن غيرهم انهم لا يريدون ذلك ، وهذا ماحملني على السعي لتنفيذه هنا باوسع وأكمل مما وافقوني عليه هناك

لايختلف اثنان في أن أول مايبدأ به في مثل هذا العمل هو مكاشفة من يرجى منهم القيام به ودعوتهم الى الاجتماع والتشاور فيه وهذا مابدأت به ، وقبل ان يتم اختيار الافراد الذين أحببت ان يكونوا هم المؤسسين قامت جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني بمصر ترجف بالمشروع وتلبس على الناس أمره باتفاق محمد بك فريد رئيس الحزب والشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة العلم على مقاومته فكان مثل خذلان المسلمين لانفسهم ولدينهم بمصر والاستانة واحداً

كانت جريدة العلم زعمت انه يوجد بمصر جمعية تدعى جمعية الاتحاد العربي غرضها فصل البلاد العربية من الدولة العثمانية واقامة خليفة عربي فيها تحت حماية الانكليز، وانها تعمل أعلاما مطرزة لترسلها الى البلاد العربية ثم مزجت مشروع الدعوة والارشاد بتلك الاوهام ، وأطلقت القول في ذم العرب

خرق في السياسة وسعاية للايقاع بين الشعبين الكبيرين المقومين للامة العثمانية وهما العرب والترك عن جهل أو علم فالشعب العربي أكثر عدداً وأوسع بلاداً وقيمته وقيمة بلاده المعنوية في هذه الدولة أعظم من كل شيء ، وهذا الطعن فيه يتضمن الطعن في الدولة نفسها كما تعلم ذلك من العهد الحميدي المظلم الذي كان يروج فيه مثل هذه السعايات والوشايات الوهمية التي كانت جريدة اللواء ترجف بها

ليس هذا المقام مقام البحث في هذه المسألة وانما ذكرتها لأبين ان جريدة العلم بنت عليها الطعن والارجاف في مشروع الدعوة والارشاد وجعلته تابعاً لها ووسيلة اليها وهو المشروع المقدس من أدناس السياسة وأهلها المفسدين ، كأن المغرور بما أرجف به كان يتوهم انه بارجافه يقضي على هذا المشروع ويقتله وهو جنين حتى لا يطمع أحد في وجوده فيعمل له !! وفاته ان المخلصين لا يبالون من رماهم بالريبة ، وا كل لحومهم بالغيبة ، ولا يثنيهم عن عملهم الافك والبهتان وإنما يزيدهم ذلك إيماناً وعزماً ويقولون حسبنا الله ونعم الوكيل

وهانحن أولاء نسجل ما كتب في جريدة العلم مع الرد عليه ليكون من مادة تاريخ هذا المشروع الجليل وللزمان الحكم الفصل في اظهار الحقائق للعالمين ، وإبطال أباطيل المبطلين ، والى الله المصير والعاقبة للمتقين

المقالة الأولى لجريدة العلم

نشرت جريدة العلم بعد الذي أشرنا اليه في المقدمة المقالة الآتية في عددها ٢٠٥ الذي صدر في ٨ المحرم وهذا نصها :

﴿ مدرسة التبشير الاسلامي ﴾

« ماوراء الحجاب »

ان فكرة ارسال مبشرين بالاسلام في اطراف الارض لنصح العامة وتمكين عقيدة التوحيد في نفوس أهل الشرك قد عرضت في العهد الاخير للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ولقد سمعناه يقول انه لو لا حكم عبد الحميد ووساوسه لعرض على الدولة العلية اتخاذ الآستانة التي هي دار الخلافة مقرا لتلك المدرسة الدينية

مات الشيخ عبده ودالت دولة عبد الحميد وحل الدستور والعدل والعقل محل الفوضى والظلم والجنون فخطر للشيخ رشيد فيما نظن تحقيق أماني استاذنا المرحوم فذهب الى دار السعادة وأفضى بمشروعه الى ذوي الحل والعقد هناك فرحبوا به لانه من الضرورات اللازمة للعالم الاسلامي وقد تمكنت الجهالة بأصول الاسلام من نفوس عامة المسلمين وخاصتهم حتى ان أحدهم ليسمع آي كتاب الله أو شيئا من سنة رسوله المصطفى فلا يخيل اليه الا أنها بدع أو مفتريات تلصق بالدين !

رحب رجال الدولة بهذ المشروع وأرادوا ان يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له دون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفورا منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقا وان كذبا) من افراطه في الاشتغال بالمسألة العربية واغراقه في التحرش بالاتراك . لقد كان يبلغهم ذلك فيظون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا ان تلحق رأسا بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون باقامتها واختيار المعلمين

الصالحين لها كما انهم مشتغلون بوضع برامجها وميزانيتها ونظامها وربما افتتحت في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى

ولقد نقل الينا من الآستانة العلية ان الشيخ رشيد رضا لم يكد ييأس من استقلاله بأمر تلك المدرسة حتى سارع الى الاستعانة ببعض ذوي السلطان من العرب لينشئوا مدرسة للتبشير عربية . ويدور في الاندية من الاشاعات والاقاويل مالا يسعنا الا استبعاده

فمن ذلك ان جمعية الاتحاد العربي هي التي تسعى وراء ذلك في الخفاء وتريد ان توجد تلك المدرسة لتخرج في الظاهر مبشرين بالاسلام وفي الباطن مبشرين بدعوتهم الخصوصية الى مناهضة الاتراك والاستبداد بالوظائف ونحو ذلك من الأغراض الحقيرة

ومن الاقاويل ان الموعز بذلك هم الانكليز يريدون ان يبلغوا بذلك مايتمنونه من تقويض دعائم المملكة العثمانية (خلدها الله) ليقيموا بدلها خلافة عربية يضعونها في أيدي عباد الشهوات والاموال حتى يتم لهم الاحتكام المطلق في العالم الاسلامي (لا قدر الله) كما تم لدولة المماليك الذين سخروا الخلفاء في عهدهم لبلوغ مآربهم وقصورهم على الخطبة والصلاة على الجنائز والتصدر في المواكب والمجالس

ولقد ظلت الخلافة الاسلامية في ذلك التعس والانحطاط حتى قيض الله لها آل عثمان فرفعوا من شأنها وأعلوا من كلمتها ودافعوا عن بيضتها . فالانجليز يريدون اليوم بتشجيع تلك العصبة العربية الغافلة أن يعيدوا للخلافة الاسلامية ذلك العهد الذي كان شرا ووبالا على العالم الاسلامي جميعه فيتخذوا من تلك العصبة خليفة يقيمون به دولة سلطانها الأعظم وخاقانها الافخم الملك جورج الخامس ويؤسسون ملكا يكون حاكمه العامل السير ادوارد جراي وكعبته المقدسة لندن

ومن الاشاعات المتناقلة أيضا أن القائمين بهذا المشروع مخلصون لا يريدون الا الخير للعالم الاسلامي ولكنهم مع ذلك يخطئونهم في عدم أخذهم بالحزم من الامور اذ استهانوا بما يحف بعملهم هذا من الشبهات وما يعتوره من الشكوك . ويقول هؤلاء انه كان الاجمل ان يتربص بالامر قليلا حتى تقيم الدولة العلية

مدرسة الاستانة فتلحق مدرسة القاهرة بها أو أن يكتفى بتلقين تلاميذ الازهر جميع ما يلزم المبشرين من فنون الوعظ وأساليب الارشاد . واذا علمنا ان برنامج الازهر أمثل الاشياء وأشبهها بما يرمي اليه ذلك المشروع نعلم أن زيادة مادة أو مادتين على ما احتواه بالفعل كافية لجعل الازهر تلك المدرسة التي يريدونها ويسعون الى اقامتها دون أن يكون من وراء ذلك مجلبة للظنون ومثار للتهم . واذا ارتأى بعض القائمين بهذا المشروع عدم كفاءة علماء الازهر لتدريب طلاب التبشير وتمرينهم على هذا الفن الجديد فليتقدم بنفسه اما متطوعا أو مأجورا ليقوم في الازهر بهذا الامر وليكون له في العاقبة جميل الشكر وجزيل الاجر

هذا ما رأينا أن نقدمه من النصائح للقائمين بهذه الحركة الجديدة ناصحين للمخلصين منهم أن يتجنبوا مواطن الشبه والا يساعدوا العاملين على التحرش بدولتهم المناهضين لاخوانهم العثمانيين المساعدين للدسائس الاجنبية المروجين للفتن الداخلية فليتقوا الله في دينهم وليتقوا الله في جامعتهم وليتقوا الله في أنفسهم فانما هلك من قبلهم بهذا الطيش والرعونة والكدح الى نيل مآربهم السافلة الحقيرة

واذا كان الاتراك فيما تزعمون قد اغتالوا ما تسمونه بالوظائف واستبدوا بها فانما هم اخوانكم في الدين وشركائكم في الجنسية

واذا كانوا أصابوكم بشيء من الاذى كما تنقولون فقد قال المثل قديما أنفك منك ولو كان أجدع

فاتقوا الله واحذروا أن تنصب عليكم داهية ككسف الليل المظلم لا تجدون منها مخرجا ولا ترجون بعدها فرجا

الا اني لا أخاف على الدولة العلية من رعاياها البلغاريين ولا اليونانيين ولا الارمن ولا العربي المسيحي وانما أخاف عليها العربي المسلم يطمح الى الوظائف ويعمد الى كتاب الله فيستغر العامة بما يؤول من آياته ويحرف من بيناته ولولا نزغات الشياطين لكان العالم الاسلامي كما أمره الله أمة واحدة ولقام بدل المفرقين منهم أمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحفظ حدود الله وتصلح بين الناس حتى لا يحب أحدهم لاخيه الا ما يحب لنفسه

ولكن «هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض» اهـ

* * *

(المنار) هذا أول ما كتبه الشيخ عبد العزيز شاويش في جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني إرجافا بالمشروع من غير مشاورة أعضاء مجلس ادارة الحزب ولا لجانه ولكن بأمر محمد بك فريد . وقد جعل في الكلام منافذ لأجل الخروج منها اذا اضطر الى الرجوع عن مقاومة هذا المشروع الاسلامي الجليل فبنى كلامه على «أقاويل» افتجرها وقال انه يستبعدها ، ورأيت بعدها بعض اصحابه يقصدون الى محادثتي في المشروع ويمزجون كلامهم بالتعريض ثم التصريح باستحسان دعوتي إياه ليكون من المؤسسين ويذكرون من الرأي في الاستفادة منه ما يذكرون ، وقد ذكر بعضهم من أمره وحاله في عمله الذي هو فيه ما لا نذكره ، فقلت لهم ان هذا المشروع يجب ان يكون بعيدا من السياسة والمشتغلين بها فلهذا السبب ولاسباب أخرى لا يمكن أن يكون الشيخ شاويش من المؤسسين لهذا العمل والمديرين له الآن ، وقد كنت عازما على استشارته فيه وطلب مساعدته عليه قبل أن يتهور في الارجاف به وتشكيك الناس فيه ، أما وقد فعل فعلته ، فقد أغنانا الله عن مساعدته

بنى الشيخ شاويش إرجافه على الأقاويل المفتجرة وهو يعلم ان جماهير العامة لا يلتفتون الى كلمة الأقاويل المستبعدة ، وكلمة «ان صدقا وان كذبا» وانما يأخذون من جملة الكلام ان هذا المشروع ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب لأنه سيفصل البلاد العربية من جسم المملكة العثمانية ، ويؤسس فيها خلافة لملكة انكليزية ، ! ! بخ بخ لهؤلاء الزعماء الخادمين للدولة بمثل هذه الدسائس التي كانت شر السيئات الرائجة في سوق السياسة الحميدية

كتب الشيخ شاويش ما كتبه ونحن في ابتداء دعوة الفضلاء المخلصين للاسلام الى العمل فعلمنا ان في الناس من ضعاف الرأي ومقلدة الجرائد الذين هم أتباع كل ناعق من يصدق كل ماينشر فيها لعجزهم عن تمحيص الكلام ، والتمييز بين الممكن والمحال ، فلاجل هذا كتبت المقالتين الآتيتين لانشرهما في الجرائد إبطالا لارجاف جريدة العلم ، وبيانا للمشروع في نفسه ليعلم حقيقته من لم يعلم ،

المقالة الاولى

(التي كتبت رداً على جريدة العلم التي يصدرها الحزب الوطني)

﴿ مشروع العلم والارشاد في الآستانة ﴾

« والدعوة والارشاد بمصر »

(٤١ : ٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

ذكر هذا المشروع في بعض الجرائد محفوفا بأوهام غريبة عنه ونشرت جريدة « العلم » مقالة افتتاحية في العدد الذي صدر في ثامن المحرم ارجف كاتبها فيها بالموضوع إرجافا مبنيا على أقاويل لا يجزم بصحتها وكان يسهل عليه ان يراجعني أو يراجع المنار ويرى فيه ما كتبته عن المشروع وأنا في الآستانة بين أولي الامر وأهل الحل والعقد ، وكذا ما كتبته فيه وفي جرائد الآستانة التركية والعربية من المقالات في إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك والتأليف بينهم بحجج الاسلام القيمة، وآيات السياسة البينة

فان كان لم يتح له الرجوع الى صاحب المشروع ولا مراجعة ما كتبه فان صاحب المشروع يكتب بيانا وجيزا يعلم منه خطأ تلك الاقاويل التي بنى عليها كلامه لعله يرجع عنه وينقض تلك الشكوك التي أقامها حول أفضل وأقدس عمل ديني اجتماعي يخدم به المسلمون دينهم وهو الدعوة الى الاسلام ودفع شبهات المشككين فيه والمنفرين عنه وهو فاعل ان شاء الله تعالى ان كان حسن النية فيما أخطأ فيه من قبل

ليست فكرة الدعوة وبث الدعاة الى الاسلام بالفكرة التي حدثت عندي في هذه الايام فيقال إنني أريد أخدم بها جمعية سياسية جديدة ان صح ماأذاعته جريدة العلم ولم نسمعه الا عنها من خبر هذه الجمعية، وإنما هي أمنية قديمة صارت رغبة ثم اقترنت بها العزيمة بعد تمهيد طويل واليك البيان بالايجاز:

كنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردد بعد الخروج من المدرسة الى مكتبة المبشرين الامريكانيين اقرأ جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم وأجادل قسوسهم ومعلميهم وأتمنى لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم

ولما هاجرت الى مصر وأنشأت المنار قويت عندي هذه الفكرة وأحببت أن أنبه المسلمين لها فكتب في جمادى الاولى من سنة ١٣١٨ مقالتين عنوان إحداهما (الدعوة حياة الاديان) وعنوان الثانية (الدعوة وطريقها وآدابها) ونشرتهما في المجلد الثالث من المنار، وكتبت مقالات أخرى في الرد على كتب وصحف دعاة النصرانية الذين يطعنون في الاسلام عنوانها العام (شبهات النصارى وحجج المسلمين) وكنت أقصد بذلك إعداد النفوس للقيام بهذه الفريضة فريضة الاجتماع والتعاون على الدعوة، اي انني بدأت بالكتابة في ذلك منذ عشر سنين او اكثر

وفي سنة ١٣٢٣ توجهت نفسي للسعي والعمل فكتبت في المنار مقالة نوهت فيها بالدعوة واشرت الى ماتحتاج اليه من الاستعداد، وبحثت فيها عن دعوة اليابانيين الى الاسلام، وكان قد شاع انهم يريدون عقد مؤتمر ديني للبحث عن امثل الاديان وأجدرها بالاتباع ليتبعوه، وبدأت بالسعي لتأسيس جمعية للدعوة يكون أول عملها إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة، وجعلت تلك المقالة تمهيدا لذلك فكان لها تأثير حسن في الاقطار الاسلامية شرقيها وغربيها، وبدأت المكاتبة في ذلك بيني وبين أهل الغيرة من الصين الى بلاد المغرب، وقد اشرت الى ذلك في الجزء الاول من المنار الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٤ أي منذ خمس سنين

كاشفت يومئذ بهذا الأمر كثيرا من أصدقائي بمصر ورغبت الى صاحب الدولة رياض باشا أن يكون رئيس الجمعية التي تقوم بالاكتتاب لتنفيذ العمل: والى محمود بك سالم أن يكون كاتب السر لها والى حسن باشا عاصم (رحمه الله

تعالى) ومحمد بك راسم وغيرهما من الفضلاء أن يكونوا أعضاء مؤسسين ، واجتمع بعض من دعوتهم للمذاكرة في ذلك مرارا في ادارة المنار

وشاورت يومئذ أحمد مختار باشا الغازي في العمل فاستحسنه هو وولده محمود باشا ووعدني ولده بالاشتراك بمتجنيه في السنة عدا مايدفعه من نفقات التأسيس

ولكن عرض في أثناء السعي دعوة مصطفى كامل بك الغمراوي الى تأسيس مدرسة جامعة مصرية وتلت ذلك العسرة المالية في مصر فوقف الاكتتاب للمدرسة الجامعة ، ووقف أيضا سعيي الى مشروع الدعوة

ثم حدث في سنة ١٣٢٦ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى اليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا في بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين فعزمت أن أجعل مشروع الدعوة والارشاد في الآستانة لاسباب أهمها أمران (أحدهما) انني أرجو من نجاحه ومساعدته والثقة به بالآستانة في ظل الدستور ما لا أرجوه في مصر التي كنت أتوقع فيها مقاومة الحزب الوطني كما كنت احذر مقاومته في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد فاشتغل بذلك سرًّا (وثانيهما) انني رأيت بلاد الدولة تكثر فيها الفتن باختلاف العناصر والاديان والمذاهب ، وانني أعلم أن لكل طائفة من النصارى العثمانيين مدارس دينية تابعة لبطاركهم على شدة اقبالهم على مدارس دعاة دينهم من الافرنج ، واعلم ان المسلمين هم المحرومون من ذلك ، فقلت في نفسي أن تأسيس المشروع في الآستانة تكون فائدته الاولى ترقية مسلمي الدولة العلية في دينهم ودنياهم والتأليف بينهم وبين أبناء وطنهم ، ومنع أسباب الفتن والخروج على الدولة من أقرب طرقها وهو الوعظ الديني ، وبذلك يكون ارتقاء الامة العثمانية الاجتماعي والاقتصادي سريعا وبه تزيد ثروة الدولة وقوتها

رحلت الى الآستانة في أواخر رمضان من سنة ١٣٢٧ بعد مكاتبة في المشروع مع بعض معارفي فيها ومع بعض رجال جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ظهر لي منها ميلها الى مشروعي حتى انها سألت عن سفري بلسان البرق وتلقتني بالحفاوة في أزمير والآستانة ، وقد اقمت في الآستانة سنة كاملة لا عمل لي فيها الا السعي لهذا

المشروع ولحسن التفاهم بين العنصرين المقومين لهذه الدولة وهما العرب والترك اللذان شبهتهما بالعنصرين المكونين للماء أو الهواء ، وقد كتبت في هذه المسألة الاخيرة مقالات نشرت اكثرها هنالك بالتركية والعربية في جريدة إقدام وجريدة كلمة الحق ثم جريدة الحضارة ، ويجدها القارئ كلها في مجلدي المنار للسنتين الماضيتين

عرضت المشروع هنالك على وزراء الدولة وكبرائها من رجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم فاتفقت كلمتهم بعد البحث معي في لجنتين احداهما علمية والاخرى سياسية على أن يصرف النظر عن البحث في مسألة تخريج الدعاة الى الاسلام وان تسمى المدرسة المراد إنشاؤها (دار العلم والارشاد) وجمعيتها (جمعية العلم والارشاد) وكان وصل المشروع في وزارة حسين حلمي باشا الى حيز التنفيذ إذ قال لي : ان العمل قد تم نهائيا فألف الجمعية حالا ونحن نصرف لكم الآن خمسة آلاف ليرة لأجل الابتداء بالعمل وفي أول السنة المالية نزيد لكم بقدر الحاجة ، ولكن استقالت وزارة حسين حلمي قبل أن تتمكن من تأليف الجمعية

ثم استأنفت العمل في وزارة حقي باشا وقد عرض عليَّ ناظر الداخلية وناظر المعارف فيها ان آخذ رخصة المدرسة باسمي وأدع مسألة الجمعية الى فرصة أخرى فلم أقبل وقلت يجوز أن أموت بعد مدة قليلة وحينئذ تصير المدرسة لورثتي وهم ليسوا أهلا لهذا العمل فلا بد من جمعية دائمة

وقد فوضت اليهم اختيار الاعضاء المؤسسين فاختارهم ناظر المعارف مع مدير شعبة الالهيات والاديبات في دار الفنون من صفوة رجالهم في المشيخة الاسلامية ومجلس الامة ونظارات الحكومة وقد ذكرت أسماءهم في الجزء السادس من المنار الذي صدر في آخر جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ ومنهم شيخ الاسلام الحال (وكان من أعضاء مجلس الاعيان والمدرسين) ومستشار المشيخة، واقترح بعض الاعضاء أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف للجمعية فقبلت

* * *

قال صاحب مقالة جريدة (العلم) في مقالته التي أرد عليها بعد ذكر رحلتي الى الآستانة وعرض المشروع على أولي الشأن ما نصه :

« رحب رجال الدولة بهذا المشروع وأرادوا أن يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له دون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفورا منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقا وان كذبا) من إفراطه في الاشتغال بالمسألة العربية وإغراقه في التحرش بالاتراك. لقد كان يبلغهم ذلك فيظنون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا أن تلحق بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون بإقامتها » اه

أقول (١) قول الكاتب انهم رحبوا بالمشروع ـ يعني المشروع الذي عبر عنه بالتبشير الاسلامي ـ غير صحيح وانما رحبت وزارة حسين حلمي باشا بمشروع تربية المرشدين الذين يكونون وعاظا ومعلمين للمسلمين لشدة الحاجة اليهم في بلاد الدولة العلية وأراد ان ينفذه كما اقترحت من غير ان يكون لشيخ الاسلام رأي فيه ولا إشراف عليه

(٢) لما سقطت وزارة حلمي باشا بقيت بضعة أشهر أراجع وزارة حقي باشا حتى اقتنعت بوجوب تنفيذ مشروع العلم والارشاد ـ لا الدعوة والارشاد ـ بواسطة جمعية لا بواسطة شيخ الاسلام وتأسست الجمعية وصدقت عليها الحكومة رسميا وقانونها أو نظامها الاساسي مطبوع في المنار (ج ٦ م ١٣)

(٣) ان كون المشروع في يد جمعية من خيار رجال العاصمة ينافي ان يكون بيدي فلا محل لخوفهم مني ان صح انهم سمعوا عني ما ينفرهم ، فان كان جعل المدرسة تابعة للمشيخة مبنيا على عدم الثقة فانما ذاك عدم الثقة بالجمعية التي ألفوها لا بعضو واحد له فيها صوت واحد وان كان هو صاحب المشروع

(٤) الحق الذي وقع هو انه لم يقترح أحد من رجال الدولة جعل هذا المشروع تابعا للمشيخة بل كانوا كلهم متفقين على جعل المدرسة من المدارس التي يسمونها (المكاتب الخصوصية) وعلى ان فائدتها بأن لا تكون من مدارس الحكومة الرسمية (ولا أزيد على هذا الآن)

(٥) اننا بعد تأسيس الجمعية وتصديق الحكومة عليها طلبنا من شيخ الاسلام ان يستنجز الحكومة ما وعدتنا به من المال فقال لنا بعد ان ذاكر الصدر الاعظم

واتفق معه على ذلك اكتبوا ماتريدون من المساعدة فكتبت صورة مذكرة وترجمها كاتب الجمعية العام بالتركية وأعطيناه إياها فأمر بتبييضها ثم ختمها وأخذها بيده الى الباب العالي وبقيت انا ألح بعرضها على مجلس الوكلاء لاجل تقريرها زمنا طويلا حتى عرضت وبشرني شيخ الاسلام وناظر الاوقاف بقبولها وصدور القرار الرسمي بمقتضاها

(٦) كان هذا في سبتمبر من السنة الثانية وفي الاسبوع الاول من رمضان بلغنا شيخ الاسلام صورة القرار الذي قرره مجلس الوكلاء فاذا فيه ان المدرسة تكون لها لجنة تحت ادارة ومسؤلية شيخ الاسلام ، ولم يطرق سمع أحد من أعضاء الجمعية هذا الرأي الا في أوائل رمضان وهو الشهر المتمم للسنة من سعي للمشروع هناك

(٧) لم أكن أنا الذي اعترضت وحدي على هذه الفقرة من القرار بل اجتمعت جمعية العلم والارشاد بدار الفنون بعد ظهر يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ١٣٢٨ وقررت باتفاق الآراء الاعتراض على قرار مجلس الوكلاء وبلغوا شيخ الاسلام قرارهم بالكتابة الرسمية فقال حفظه الله تعالى ان الاعتراض في محله (حقكز وار) اي معكم الحق، وانه سيراجع الباب العالي ويقترح تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل مدرسة (دار العلم والارشاد) خاصة بالجمعية التي الفت لاجلها. وكذلك قال ناظر المعارف ووعد. وقال لي احمد نعيم بك بابان العضو في مجلس المعارف وفي مجلس إدارة الجمعية اظن ان الناظر كتب بالفعل الى الباب العالي يقترح تعديل القرار

* *

هذا نبأ وجيز من تاريخ المسألة وهو يدحض جميع تلك «الاقاويل» و«الاشاعات» التي بني عليها كلامه كاتب تلك المقالة في جريدة العلم ومنه يعلم كل من له مسكة من الاستقلال في الفهم والرأي انه لامجال للظنون والاراجيف في هذا المشروع العظيم ولا في سعي هذا العاجز الضعيف اليه ، وهل يعقل أن أترك عملي الكثير بمصر وأقيم سنة كاملة في الآستانة وأخسر من المال والوقت ما لا غنى لي عنه الا لشدة اخلاصي في خدمة ديني ودولتي كما سبق لي منذ قدرت على خدمتهما

اما ما قيل «ان صدقا وان كذبا» من افراطي في الاشتغال بالمسألة العربية

فليعلم ذلك الكاتب انه من الكذب والبهتان وهو أغرب من اتهام الحزب الوطني بخدمة الانكليز في المسألة المصرية وتمهيده السبيل لامتلاكهم مصر . وذلك ان كتاباتي في محاربة العصبية الجنسية في الاسلام وفي اخوة المسلمين العامة وفي التأليف بين العرب والترك خاصة منبثة في ثلاثة عشر مجلدا ضخما من المنار وفي أربعة مجلدات من التفسير ولا أطيل في هذه المسألة البديهية فانما غرضي في هذا المقال بيان ما لا بد منه من أمر مشروع الارشاد في الآستانة العلية ليعلم انه لا مجال للاشتباه فيه وأن ما تقرر هنالك لا يغني عن انشاء مدرسة للدعوة الى الاسلام هنا

وسأبين في مقال آخر جوهر المشروع المتفق على إنشائه هنا وانه لامجال فيه ايضا للاراجيف والظنون وانه لا يعارضه ولا يناهضه الا عدو للاسلام والمسلمين، او حاسد للعاملين ، فاصبر ان الله مع الصابرين

وما سكتنا عن بيان المشروع في الجرائد لانه سري أو لان فيه شيئا سريا وانما هو في طور التكوين ، فمتى تم تكوينه بيناه للناس أجمعين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

المقالة الثانية

وهي المقالة التي أرسلتها الى الجرائد في بيان المشروع ووجه الحاجة اليه برأي الجماعة التي تسعى معي في تنفيذه

﴿ مشروع الدعوة والارشاد في مصر ﴾

(٤ : ١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١٦ : ١٢٥) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

الدعوة الى الاسلام فريضة اذا تركها المسلمون يكونون كلهم عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام بها بعضهم سقط الحرج عن الباقين

والدفاع عن الاسلام عند ظهور الشبه وإلقاء الشكوك في عقائده وأصوله فرض أيضا فاذا سكتوا عنه حيث يظهر كانوا عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام به بعضهم وحصلت بهم الكفاية سقط الاثم عن الباقين

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الحاجة من فرائض الكفاية أيضا فاذا سكت المسلمون عنه حيث يترك المعروف من الفرائض والسنن ويظهر المنكر من البدع والمعاصي كان جميع المسلمين هنالك آثمين مستحقين لعذاب الدنيا بذهاب عزهم ومجدهم ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون ، واذا قام به من تحصل بهم الكفاية سقط الحرج عن الباقين

هذه مسائل مجملة مجمع عليها بين المسلمين الذين يعتد باسلامهم ولها تفصيل وجزئيات معروفة في مواضعها من كتب الدين بشروطها وأدلتها

وقد اهملت هذه الفرائض في زماننا هذا إهمالا لم يسبق له نظير كما ان الحاجة اليها قد اشتدت اشتدادا لم يسبق له نظير في تاريخ الاسلام

فشا الجهل بين المسلمين وكثرت فيهم البدع والخرافات وقل الوعاظ والمعلمون الذين يتصدون لارشاد العامة أو فقدوا (اللهم الا الدجالين المحتالين على التجارة بدينهم) وانبثت دعاة النصرانية في جميع شعوبهم يشككونهم في دين الاسلام ويطعنون في كتابه المنزل ، وفي نبيه المرسل ، ويبثون مطاعنهم بالخطب في المحافل العامة ، والتعليم في المدارس الخاصة ، والوعظ في الملاجئ والمستشفيات ، وبكتب ورسائل يطبعونها وينشرونها في الناس ، وأكثر المسلمين عوام أميون لا يميزون

بين الحق والباطل ، ولا بين الصادق والكاذب ، مما يعزى الى دينهم والى علمائهم ، ووراء ذلك أموال تبذل للمرتدين ، تغر الطامعين الجاهلين

فصار من الواجب المحتم عليهم في كل البلاد ان يقاوموا هذه الشكوك والشبهات دفاعا عن دينهم ، وأن لا يكتفوا بالدفاع كما هو شأن الضعيف بل يزيدوا عليه تعليم عامة المسلمين حقيقة دينهم ، ويدعوا غير المسلمين ولا سيما الوثنيين ، الى هذا الدين القويم ، دين العقل والفطرة ، المصدق لجميع الرسل ، الجامع بين مصالح الروح والجسد ، المؤدي الى سعادة الدنيا والآخرة

يجب ان نقاوم هذه القوة المهاجمة لهم بمثلها وأنى لهم مع هذا التخاذل والتواكل والتحاسد والتباغض أن يأتوا بمثلها

ان لكل مذهب من مذاهب النصرانية جمعيات دينية غنية بالهبات والتبرعات ، ولهذه الجمعيات فروع كل فرع منها موجه لتنصير شعب من الشعوب - فمنهم الموجهون لتنصير العرب يتعلمون العربية ويتقنونها أكثر من أهلها ويؤلفون الكتب بها ويعلمونها في مدارسهم وهم منبثون في البلاد العربية الآسيوية والافريقية ، ومنهم الموجهون لتنصير الفرس والموجهون لتنصير الترك والموجهون لتنصير الهنود ولتنصير الجاويين الخ

يشعر المسلمون في مصر بالألم والامتعاض عندما يرون جريدة من جرائد هؤلاء الدعاة أو كتابا من كتبهم أو رسالة من رسائلهم تطعن في دينهم ، يتألمون لانهم يعدون هذا إهانة لهم وقلما يخطر في بال أحد منهم ان بعض المسلمين ينخدع بها فيشك في دينه أو يخرج منه ، لأن ضروريات الاسلام معروفة هنا بين العامة في الجملة ومعرفتها كافية لرفض كل ما يخالفها والإعراض عنه ، ويزيدهم قلة مبالاة ما يرونه من المطاعن الجديرة بالسخرية كالكتاب الذي نشرته المكتبة الانكليزية بمصر لقسيس انكليزي ذكر فيه سورة زعم انها كانت سقطت من القرآن أو كتمت ، وما تلك السورة بسورة وانما هي كلام ركيك تبرأ منه الفصاحة والبلاغة بل اللغة العربية

الا فاعلموا أيها الاخوة ان هذه الجمعيات قد انتزعت في مصر نفسها أفرادًا من المسلمين ونصرتهم ولكنكم لاتشعرون بهم لقلتهم فاذا تركتها تفعل في غير مصر من البلاد التي لايعرف فيها الاسلام كما يعرف بمصر ولا يوجد فيها من يدافع عنه كما يوجد في مصر

جاءني في كتاب من سائح مسلم مشهور بسنغافوره بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣٢٨ مانصه : « اني قد ترددت الى جاوه ومتعلقاتها منذ ثلث قرن وقد تبين لي ان دعاة النصرانية قد اضروا بالاسلام وأهله لتغلب الجهل عليهم لمنع الحكومة الهولندية دخول الدعاة الى الاسلام ، وحجتها انهم ليسوا علماء بل دجاجلة وكل من منعته أو طردته ليس من متخرجي المدارس ،ولقد هالني جدا مارأيته في سياحتي هذه فان الداء قد تمكن وفتك بالاهالي فتكا ذريعا مهولا ، وبالجملة أقول ان المتنصرين سنويا من مسلمي جاوه ومتعلقاتها ـ هنديشرلند ـ لا يقلون عن مئة الف إنسان ، واذا دام هذا عادت جاوه اندلسا ثانية (الى ان قال بعد لوم العرب الذين هنالك على سكوتهم عن هذا الامر) ولو وجد عالم له إلمام بفن الدعوة وبعض معرفة بلغة أوربا وية وكان ذا عقل واعتدال وساح في هذه النواحي لأوقف هذا التيار الجارف ، فكيف لو وجدت بعثة كالبعثات الاوربية »

ثم جاءني منه كتاب آخر جوابا عن كتاب أرسلته اليه مبشرا إياه بالسعي لانشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام ، وصل الي في ١١ المحرم الحال وقد كتب في ٢٤ ذي الحجة الماضي وفيه مانصه :

« أما ماذكرته لكم من فتك دعاة النصرانية بأهل هذه النواحي فصحيح لا مرية فيه بل الامر أشد وأكبر ولا سيما في جزائر تيمور ويتو وسليبس وبندقيني وفلفاني ولاقوة الا بالله ، ـ الى ان قال ـ اما ماعرفتموه من عدم سريان سموم أولئك الادعياء في الاقطار التي عرفتموها فله أسباب كلها لاتوجد هنا من تصلب الاهالي ووجود شيء من العصبية وقليل من العلماء وبصيص من نور المدن وكثرة قراء المجلات ونحو ذلك

« ولو عرفتم ماهو فته عن حال من بهذه الجهات لعجبتم من بقاء عشرات الملايين على الاسلام مع ماهم فيه من الجهل وما يعرض عليهم من الاغانات ان تنصروا

« وأسأل الله ان يمدكم بعونه وتوفيقه ليتم لكم إقامة جمعية ـ الدعوة والارشاد ـ ويطيل عمركم حتى تروا ثمرتها ونفعها للاسلام وأهله ، وأرى ان لو كاتبتم أهل الهند ولا سيما رؤساء ندوة العلماء ليمدوا لكم يد المعاونة لكان حسنا » اه

لا يوجد قطر من الاقطار الاسلامية الا وعنده من أبناء هؤلاء الدعاة في بلاده ما يحرك غيرته الدينية ويذكره بما يجب عليه لدينه من القيام بمثل ذلك، ولكن المسلمين أصيبوا بأمراض اجتماعية حتى صاروا على شدة تمسكهم بدينهم وغيرتهم عليه أبعد أهل الملل عن التعاون والاجتماع لخدمته ، واذا قام فيهم من يريد خدمة الاسلام لا يلقى المخاذلين والمقاومين له الا من المسلمين إما من باب السياسة وفتنها وإما من باب الحسد، وهم يتهمون غيرهم ولا سيما الاوربيين بالمقاومة التي كفوهم أمرها والصديق الجاهل أضر من العدو العاقل

ولكن حوادث الزمان وأحداثه قد نبهت المسلمين في جميع أقطار الارض وحفزت هممهم الى التعاون على إحياء دعوة الاسلام والدفاع عنه وارشاد عامة أهله الى ما يجب عليهم في هذا العصر من الاستمساك بآدابه وأعماله ومباراة الامم الأخرى في العلم والمدنية مع الحكمة والمودة والسلام العام بين اهل الملل

قد قطع الاوربيون حجتنا بمثل ما نقله السائح عن حكومة هولنده في جاوه وما قاله لورد كرومر في بعض تقاريره عن دعاة النصرانية في السودان(*) فلم يبق لأحد منا حجة في تعصب الاوربيين ، وأما من يخافون من حسد جهلة المسلمين والمارقين منهم فليعلموا أن هؤلاء لا قوة لهم الا بالأراجيف وسفه القول وليس

---

*) جاء في الفصل الذي عقده اللورد في تقريره عن السودان سنة ١٩٠٥ انه كتب الى جمعية التبشير للكنيسة الانكليزية كتاباً يدعوها فيه الى التبشير في أقاليم السودان الجنوبية ويخبرها أنه خصص لها قسم كبير من تلك البلاد في الوقت الحاضر ـ كما خصصت أقسام أخرى للمبشرين النمساويين والامريكيين . وقال انه ذكر في كتابه الى تلك الجمعية الجملة الآتية التي أوردها افادة للقراء من المسلمين وهي

« لم يطلب أحد حتى الآن وخصة لانشاء مدارس في جنوب السودان على نفقته تعلم فيها فرائض دين الاسلام ولو طلب أحد ذلك لحل طلبه محل القبول . أقول ذلك اظهاراً لخطة الحكومة ودقتها لكل وهم فان غرض الحكومة التعليم والتهذيب لا غير فعلى الذين يتبرعون للدخول في هذا العمل على نفقة الجمعيات أو الافراد أن يتخلصوا من مقاصد الحكومة وينشروا بينها تعاليمهم الدينية »

هذا بعذر شرعي يسقط هذه الفريضة بل الفرائض التي بيناها في صدر المقال

هذا العمل لا يمكن أن تقوم به الحكومات لما يحدث فيه حينئذ من فتن السياسة ولأن الحكومات لا تربي أرواحا بل عمالا، ولا الأفراد لضعفهم، والشرع قد أوجب علينا أن نقوم به مجتمعين بقوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الآية ولم يوجد في دين من الأديان التصريح بمثل هذا في افتراض الاجتماع لهذا العمل ، وما يعضده في القرآن الحكيم من الأمر بالتعاون والاعتصام ، وقد دلت التجارب على ذلك في غيرنا من الأمم ، فلهذه الاوامر الدينية والأسباب الاجتماعية اختار الله جماعة من أهل الغيرة من المسلمين المقيمين بمصر وشرعوا في التوسل الى انشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام والمرشدين للمسلمين وإقامة تلك الفرائض وسيعلنون الدعوة الى التعاون على ذلك عن قريب

مدرسة الدعوة والارشاد

نبين للناس أهم ما تقرر بين الجماعة المشتغلة بتأسيس هذه المدرسة بادئ بدء الى أن يصدقوا على قانونها فننشره

(١) يختار طلاب هذه المدرسة من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الاقطار ويفضل الذين هم أشد حاجة إلى العلم على غيرهم كأهل جاوه والصين وما عدا القسم الشمالي من افريقية

(٢) المدرسة تكفل لهم جميع ما يحتاجون اليه من الغذاء والمنام والكتب

(٣) يعتنى بتربيتهم على آداب الاسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي ، وعلى قيام الليل وصيام أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر

(٤) يعلمون كل ما يحتاج اليه الدعاة من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحديث والأحكام على الوجه المؤدي الى القدرة على إقامة الحجة ودحض الشبهة وما يحتاجون اليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك

(٥) لا تشتغل المدرسة ولا الجماعة المديرة لها بالسياسة المصرية ولا العثمانية ولا سياسة الدول الأجنبية مطلقا

(٦) يرسل الدعاة والمرشدون الذين يتخرجون في المدرسة الى أشد البلاد الاسلامية حاجة اليهم كجاوه والصين ، ثم الى الشعوب الوثنية ، ثم الى أمريكة وأوربة من البلاد الكتابية ، ولا يرسل أحد منهم الى الولايات العثمانية لما يترتب على ذلك من اعتراض غير المسلمين وتهويشهم على الدولة وان كان لكل مذهب من مذاهبهم دعاة في تلك الولايات وللعلم بأنه سيعد في الاستانة مدرسة لاجل تخريج المرشدين لتلك الولايات دون الدعاة الى الاسلام

(٧) سيبدأ المؤسسون بجمع الاعانات للقيام بهذا العمل ثم يفتحون باب الاشتراك الدائم لاجل استمراره ويرجون نجاح السعي بما يجود به أهل الخير والبر من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا والاوقاف التي يرجى أن توقف على هذا العمل

(٨) نشرت هذا البيان بعد استشارة المتعاونين على تنفيذ هذا المشروع واستحسانهم ، وسينشر قانون المشروع الاساسي بعد التصديق عليه مذيلا بأسماء المؤسسين

محمد رشيد رضا

* * *

اصرار جريدة العلم على الارجاف

أرسلنا المقالة الاولى من هاتين المقالتين الى جريدة العلم وعزمنا على أن لا نرسلها الى غيرها اذا هي نشرتها لانها رد عليها أرسلناها مع صديق لنا ولزعماء الحزب الوطني فوعد الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير العلم يوم الاثنين ١٥ المحرم بنشرها والتعقيب عليها ثم اكد الوعد يوم الثلاثاء واعتذر عن التأخير ولكن بلغنا انه حصل خلاف بينه وبين محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني في أمر نشرها فكان رأي رئيس الحزب أن لا تنشر لأنها تفيد المشروع قوة والمراد سحقه قبل أن يقوى وكان رأي رئيس التحرير أن تنشر ويعقب عليها بشدة

تقوي الشبهة في المشروع وتزيده وهنا على وهن ، وقد انتظرت الى يوم الاربعاء فلما رأيت جريدة العلم خلوا منها أرسلتها مع المقالة الثانية الى جميع الجرائد اليومية العربية في مصر والاسكندرية في مساء هذا اليوم

المقالة الثانية للعلم

وفي صبيحة يوم الخميس ١٨ المحرم صدر العلم وفيه المقالة، وفي فاتحة باب الحوادث والاخبار منه ثلاثة أعمدة في سبي وشتمي ووصفي بالعجز والضعف مع الارجاف والايهام بقوله « لو ان العلم شاء لبسط للناس كيف ذهب صاحب المشروع الذي هو « أقدس وأفضل عمل ديني » الى السير غورست ليعرض عليه مشروعه فيحظى برضاه وينال إسعاده ولو شاء العلم لبين للناس ما في ذلك من المخازي والمآرب المكنونة »

لو كان في هذه الشتائم والاراجيف شبهة على الموضوع لنشرناها كما نشرنا مقالة العلم الاولى على وهنها وضعفها ولكن فيها أمرين يحسن ذكرهما والجواب عنهما . أحدهما الارجاف بعبارته التي نقلناها آنفا ، والثاني تخطئة العلم إياي بقولي انني كنت اتوقع مقاومة بعض رجال الحزب الوطني في هذا المشروع كما كنت أحذر مقاومتهم إياي في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد

أما الاول فأقول فيه انني لم أذهب الى السير غورست لأحظى برضاه وأنال إسعاده ومعونته على المشروع كما أرجف الكاتب، وأصرح بأعلى صوتي ان غاية ما أرجوه وأتمناه من الانكليز ان لا يقاموا المشروع في مصر والهند لانني أرجو من مساعدة المسلمين في هذين القطرين مالا أرجوه من غيرهما فاذا قاومه الانكليز فيهما فلا شك في انه يفوتنا من المساعدة ما لا غنى لنا عنه . على انه لا يوجد عاقل في الدنيا يقول ان طلب المساعدة على عمل نافع ممن لا نفع له فيه نفسه ولا لقومه يخرج ذلك العمل عن وضعه ولا سيما اذا كانت المساعدة المطلوبة سلبية كعدم المقاومة . مثال ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية طلبت المساعدة في السنين الخالية من العميد الانكليزي ومن غيره من الاجانب وكانت ولا تزال تأخذ من هؤلاء في كل سنة شيئا من النقود فيما أعلم فهل صارت الجمعية بذلك خادمة للانكليز وضارة بالمسلمين ؟؟

ونحن لا نطلب من غورست ولا من غيره من الاجانب ولا غير المسلمين من

الوطنيين مساعدة مالية ولا أدبية وانما نطلب منهم ان لا يكونوا ضارين لنا ولا مقاومين لمشروعنا كما يقاومه بعض المسلمين ولا يبعد ان تنال هذه الامنية السلية منهم فقد قال الاستاذ الامام وحلف على قوله بالله انه لم يقم بمشروع ينفع المسلمين ووجد له مقاوما فيه من الانكليز ولا من القبط ولا من نصارى السوريين ولكنه لقي المقاومة في كل مشروع أراد به خدمة الاسلام من المسلمين أنفسهم . أقول ومن ذلك انهم وشوا بالجمعية الخيرية الى الانكليز بأنها تمد مهدي السودان بالمال ليحارب به مصر والانكليز ، وهاجت جريدة اللواء عليه وعليّ اليهود عند تفسير بعض الآيات المتعلقة بهم في كتاب الله عز وجل . . .

إذا أثبتنا لرئيس تحرير العلم ان شيخ الازهر أو بعض أعضاء إدارته زار الوكالة البريطانية ولورد كرومر فهل يعد هذا حجة على كون الازهر صار خادما للانكليز ، وقد علمنا ونحن في الاستانة إن بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يختلفون إلى بعض السفارات كاختلاف حسين جاهد بك وإسماعيل حقي بك بابان الى سفارة روسية فهل يسمح لنا محرر العلم المنطقي أن نستدل بذلك على خيانة الجمعية للدولة العلية ؟؟

وأما الثاني فسببه ان مدير جريدة اللواء كان مقاوما لي منذ سنته الاولى وسبب ذلك أني انتقدت عليه عند ظهوره أمرا ضارا فقلت في ص ٦٠٧ من مجلد المنار الثاني ما نصه:

« وقد انتقدنا عليها أمرا ذا بال وهو الارجاف بأن بعض الناس يسعون في إقامة خلافة عربية كأن الخلافة من الهنات الهينات ، تنال بسعي جماعة أو جماعات ، ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الأعلى بأكثر من هذا الارجاف .

« مقام الخلافة اسمى من أن يتطاول اليه أحد وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زمامه لبني عثمان تسليما ، والرابطة بين الترك والعرب هي (كما قال المرحوم كمال بك الكاتب الشهير) موثقة بالاخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وحده ، وان كان أحد يطمع في ذلك فهو الشيطان .

« ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلي بالوسامات والالقاب

الضخمة ، ورجل اتخذه الأجانب آلة لخداع بسطاء المسلمين بإيهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأي أمير أن يناله ولأية جمعية أن تزحزحه عن مكانه ، ليزيلوا هيبته من القلوب ، ويقنعوا نفوس العامة من الاغرار ، بامكان تحويله في وقت من الاوقات ، وبأن المسلمين ليسوا راضين من الخلافة العثمانية جميعا » الخ

هذا ما كتبناه في الانتقاد على اللواء عند ظهوره أي من إحدى عشرة سنة وشهور وانه لم يظهر لنا في كل هذه المدة أن الاجانب اشتغلوا بهذه المسألة ، بل الذي ظهر أن الارجاف والافساد لم يكن الامن الطامعين في دنانير السلطان عبد الحميد وأوسمته ورتبه ، المتوسلين اليها بدعوى الاخلاص له ولدولته ، أو الانتقام من يسلطون عليهم عقارب سعايتهم ، ومن يريد بالمسلمين سوءا من الأجانب لايحتاج الى سعي ولا عمل فحمقى المسلمين يكفونه كل سعي

كبر انتقادنا هذا على جريدة اللواء في ذلك الوقت فصارت كلما سنحت الفرصة تنتقم منا ضروبا من الانتقام حتى انها نشرت في سنة ١٣٢٣ مقالة في العدد الـ ١٧٥٤ ثم بعد أسبوع نشرت مقالة اخرى في ع ١٧٦٢ زعمت انها جاءتها من جاوه تؤيد المقالة الاولى وتستدرك عليها ، توهم قراءها بذلك ان في جميع البلاد الاسلامية أفرادا يشايعونها على الطعن فينا ، ولم يخطر لمديرها ولا لمحرريها ولا لمصححيها أن البريد الى جاوه غدوه شهر ورواحه شهر تقريبا فكيف يصدق العارفون بتقويم البلدان من قراء اللواء أن العدد الاول يصل الى جاوه ويكتب الكاتب ما يكتب في استحسان تلك المقالة والاستدراك عليها وتصل رسالته الى مصر وتنشر ويتم ذلك كله في أسبوع واحد ؟! وزاد طعنها فينا معاداتها للاستاذ الامام ودفاعنا عنه كما هو مشهور

هذا التحامل علينا من جريدة اللواء الذي استمر من أول انشائه الى سنة ١٣٢٣ التي أردت فيها تنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وتلك التهم التي كانت تشيعه عن مسألة الخلافة العربية لتنتقم بها لدى السلطان عبد الحميد ممن تتهمهم بها ، وذلك الاطراء الذي كان يطري به مدير اللواء ذلك السلطان المخرب للمملكة حتى انه

قال مرة مامعناه انه ينبغي لكل مسلم أن يضيف الى الشهادتين بوحدانية الله ورسالة خاتم النبيين شهادة ثالثة بخلافة عبد الحميد — ذلك كله كان هو السبب في حذرنا من مقاومة الحزب الوطني في مشروع الدعوة الى الاسلام وفي مقاومة سياسة عبد الحميد ومطالبته بالشورى والدستور في (جمعية الشورى العثمانية)

ولو شئت ان اشرح هذه المسألة وأنشر ما صار مطويا في صحائف اللواء من مدائح عبد الحميد وتقديسه ومن الارجاف بمسألة الخلافة العربية لاجل التزلف إلى المابين لامكنني ان أكتب في ذلك مؤلفا حافلا ولاسيما إذا اضفت الى ذلك بعض الوقائع كإنكار محمد بك فريد على صاحب المؤيد نشره مقالا لي في إصلاح الدولة العلية منذ ثنتي عشرة سنة لان ذلك يسيء السلطان و ...

ان الذين كنت أحذر مقاومتهم وسميتهم الحزب الوطني هم مدير اللواء وبعض محرريه ومحمد بك فريد وبعض مقلديه ولا أعني أحدا غيرهم ممن اتصلوا بهم للمطالبة بجلاء الانكليز عن مصر واعمال الحكومة المصرية دستورية ولا يهمهم غير ذلك كالانتقام الشخصي ومقاومة كل مشروع نافع يقوم به غيرهم. ومن العجائب ان تطالبني جريدة العلم بالدليل على ما كان من حذري وتوقعي مقاومة من ذكرت للمشروع في نفس العدد ونفس المقالة التي تقاومه هي فيه ، فاذا كان رئيس تحريرها ومن على رأيه من المحررين قد نسوا ما نشروه في جريدتهم منذ أقل من أسبوع كما نسي سلفهم الصالح المدة بين تينك المقالتين في اللواء اللتين أشرنا اليهما آنفا فهل نسوا المقالة التي نزهوا فيها أنفسهم عن المقاومة وهي ما أنشئت إلا للمقاومة !!! يقولون الآن ان عندنا « أقاويل » أو « إشاعات » أو شبهات على ان هذا يراد به غير ظاهره ، وهذا عين ما كنت أحذره منهم من قبل اذ المقاومة لمثل هذا المشروع لا تكون الا بمثل هذه « الاقاويل » والأراجيف « شنشنة أعرفها من اخزم »

على أنني كنت أظن في هذه المرة ان زعماء الحزب الوطني لا يقاومون هذا المشروع لأن لهم في شغل الحزب وقد تكون ونمي ما يشغلهم عن انتقام هو في الحقيقة جهاد في غير عدو وقد مرت السنين وليس بيني وبينهم ما يسوء ولأن

الشيخ عبد العزيز شاويش هو رئيس تحرير جريدتهم (العلم) وما كنت أظن انه يقدم على الارجاف بهذا المشروع الجليل بناء على الأقاويل والأوهام . فاذا كانوا قاوموا في الحال التي حسن ظني بهم فيها فكيف كان يكون شأنهم في الأيام التي توفرت فيها الدواعي على المقاومة

هذا واني أبرئ كل عضو من أعضاء هذا الحزب عن مشايعة اللذين أو الذين تصدوا للمقاومة الامن كان أمعة لا روية له ولا استقلال — وأرجو وقد بينا لهم المشروع — أن يثوبوا الى رشدهم ، ويتوبوا الى ربهم ، فان لم يفعلوا اليوم فسيندمون بعد ظهور المشروع للوجود وقيام حزبهم عليهم باللائمة والتفنيد ، وما ذلك من المستعجلين ببعيد

ولا بأس أن نفكه القراء وقد استولى عليهم الحزن من خذلان المسلمين بعضهم لبعض بقول الشيخ عبد العزيز وهو يكتب باسم الجريدة التي هي لسان حزبه « فان كان الذي أغضب الاستاذ نسبتنا تلك الفكرة الى أستاذنا المرحوم الشيخ عبده الذي كان لا يلقبه في حياته الا بأمثال « الاستاذ الحكيم والاستاذ الامام وفيلسوف الاسلام » فليخفف عن نفسه قليلا فانما أول من جاء بهذا الأمر منزل القرآن » اه اقرءوا واسمعوا واضحكوا ! ! ولا تعجبوا من قوله كان يلقبه في حياته وأنتم ترون هذا التلقيب في المنار بعد مماته اكثر ورودا في المنار فمكابرة الحس لا تعد عجيبة من هؤلاء الناس ولكن احمدوا الله معي ان صاروا يعترفون بأن الاستاذ الامام أستاذهم فالحمد لله على ذلك بعد ان كان معظم ما نالني من اذاهم سببه دفاع تهمهم عنه رحمه الله تعالى كما تعلمون من مجلدات المنار .

انا لم اقل في ردي عليهم ان الاستاذ الامام لم يفكر في هذا الأمر ولا ذكرته لان الكلام كان مسوقا لبيان ان هذا المشروع ليس جديدا عندي فيصدق انني أريد ان اخدم به الجمعية السياسية التي لم نسمع بخبرها الا من « العلم » ولكنني وانا الذي نشرت مناقب الاستاذ الامام في الشرق والغرب اقول إنني لم اسمع منه رحمه الله تعالى كلمة تدل على انه يريد تأسيس جمعية ومدرسة لهذا المشروع في مصر ولا على انه يتمنى ذلك في الآستانة وانما كان يرجو ان يصلح الازهر

فيكون للمسلمين منه كل مايحتاجون اليه في أمر دينهم ومنه الاستعداد للدعوة الى الاسلام ، ولم اسمع منه شيئا في ذلك بعد تركه للازهر ،

واقول إنني لااشك في تفكير كثير من مسلمي الاقطار في هذا المشروع كما فكرت فيه ، وقد اشرت في المقالة الاولى الى تاريخ هذه الفكرة عندي والى بعض ما كتبته من التمهيد لها وانني لم استقص في تلك الاشارات وقد تذكرت الآن حديثا في ذلك دار بيني و بين شيخ الجامع الازهر وذكرته في عدد المنار الذي صدر في شهر المحرم سنة ١٣١٩ اي منذ عشر سنوات كاملة ذكرت فيه للشيخ شيئا عن الجمعيات الدينية في فرنسة وثروتها وأعمالها وتوقف حفظ الدين الاسلامي على مثل هذه الجمعيات المالية التي تجمع بين الدين والعلوم الكونية وقلت له هذه العبارة « وان هذا ما يدعو اليه المنار » فليراجع ذلك من شاء في أول ص ١٥٨ من مجلد المنار الرابع

* * *

مقالة العلم الثالثة

بعد نشر مقالتنا الثانية في بعض الجرائد اليومية رجعت جريدة العلم عن الارجاف بكون مدرسة الدعوة والارشاد تنشأ لهدم الخلافة العثمانية وتأسيس خلافة انكليزية ونشرت في صدر عددها الذي صدر يوم الاحد ٢١ المحرم المقالة الآتية بنصها وهي

﴿ مدرسة الدعوة والارشاد الاسلامي ﴾

نشرنا في هذا الباب ما نشرنا وكنا نحسب انه غنية لمن كان مخلصا من رجال هذا المشروع ولكننا نجد في كل يوم أفرادا يكثرون من اللغط ويطرحون علينا أسئلة الاستنكار والاستهجان زاعمين أننا أتينا بدعا من الرأي وزورا من القول فلا بد لنا من كلمة ثالثة في الموضوع تزيده إيضاحا وتبيانا

يعلم المفكرون ان أوربا كل يوم ترمينا بتلك التهمة الباطلة تهمة التعصب الديني والجامعة الاسلامية

طالما رمتنا بذلك وكم جنت من وراء هذه التهمة التي انما تختلقها لتنال بها

مآربها من العالم الاسلامي فتلزمه السكون والسكوت وتقعده عن النشاط والعمل وتفرق بين أجزائه حتى لا يلتئم له شمل ولا يرتق له فتق

طالما رمتنا أوربا بذلك وطالما جنت من وراء هذه التهمة المفتراة . فماذا كنا ندرأ به عن أنفسنا هذه الويلات لا سيما في تلك السنين التي خضدت فيها شوكة الحكومات الاسلامية وأصبح الاسلام وأهله في أيدي الحكومات الصليبية ؟

وهل استطاع المسلمون أن ينجوا من آثار تلك التهم الا بما كانوا يعلنونه ويشهدون العالم عليه من انهم أهل سلم لكل مسالم وأرباب وفاء لكل معاهد . هل استطاعوا ان يعدوا لأعدائهم مثل ما أعد هؤلاء لهم من مدافع مدمرة وأساطيل مصفحة وكتائب سابغة الدروع تامة السلاح ؟ هل استطاعوا أن ينافسوهم في ميادين الاقتصاد فيستغنوا عن مالهم أو يزاحموهم في أسواق التجارة فيكفوا الحاجة اليهم ؟

اذًا فماذا يبتغي أصحاب هذه المدرسة ؟ قد يكونون — كما قلنا في أول كلمة لنا — حسان القصد طاهري الضمير ولكن الى من يعدون خريجي مدرستهم ؟ أالى أهل تونس والجزائر والمستعمرات الاسلامية الفرنسية وهي تلك الدولة التي لا تغفل عن مصالحها ولا تكاد تبيح لاجنبي عنها التوغل في اعماق مستعمراتها أو مخالطة أحد من رعاياها ؟ أم الى مسلمي جاوه وتلك حكومة هولانده قد أحاطتهم بنطاق من يقظتها وحالت بينهم وبين العلم والنور والحرية والعوالم الاخرى فهي لا تسمح لاحد منهم بمقابلة أحد ولا معاشرته الا اذا كان هناك من عيونها من لا يفتر عن مراقبته ولا تأخذه غفوة عن سكونه أو حركته

لعلهم يريدون أن يبعثوا بهم الى ارجاء السودان ليدخلوا أهله في دين الاسلام. اذًا فهل أمنوا جانب انجلترا ونسوا مآربها هنالك ؟ الا والله لتعتبرن أولئك الدعاة للاسلام أهل فتنة ودعاة ثورة ولتقيمن لهم المحاكم المخصوصة ولتنصبن لهم المشانق ولتبطشن بهم بطش الجبارين . فهل أعددتم لوقايتهم ما أعدت دول الصليب لمبشريها وحماة دينها من البأس والقوى وهل سلكتم ما سلكه أولئك أيام كانوا جهالا ضعفاء من الدعوة من غير جلبة ولا ضوضاء

أظنتم ان مريدي الشر للاسلام في غفلة عنا أو انهم يسرهم أن نقوم على

وجه البسيطة مدرسة كهذه على النحو الذي يقوله أصحاب ابتداعها ؟

أأمنوا اتحاد دول الصليب علينا اذا علموا اننا نسعى لنشر كلمة الاسلام وهل غرهم ما يرونه من احدى الدول العظمى التي تظهر الميل والعطف على العالم الاسلامي وكيف يغتر بها من يستقرىء خطواتها ويدرس اضطرابها وتذبذبها وهي تلك التي لاتكاد تستقر على حال واحدة عدة أيام فكم من عهد لم توف به وكم من أمة خدعت بمسول وعودها والمأنت لزخارف أقوالها ثم قطعت أنامليها ندما على مافرط منها

اعقلوا أيها القوم وتدبروا الامر قبل أن تجنوا في معيشة الخيبة وتعجلوا للمسلمين مالاقبل لهم به . واذا زعمتم انكم تريدون دعوة غير المسلمين كما صرحتم بذلك فخير لكم ان تبدأوا بالجهال من بني دينكم وكثير ماهم ثم اذا وجدتم من أوقاتكم ومجهوداتكم متسعا فتنوا عن تشاءون من غيرهم . ولقد أسلفنا لكم أنكم اذا ربحتم المسلمين وأصلحتموهم واكتفيتم بهم فقد ربحتم كثيرا وخسرتم قليلا

اننا أيها القوم لسنا أعداء الاصلاح ولا محاربي العاملين في سبيل الاصلاح ولكنا قد أدركنا مغبة مساعيكم فرويناه الذي رويناه ولم ندع اعتقاد شيء منه وانما بسطنا لكم القول وشرحنا لكم وعورة الطريق التي تسلكونها وأرشدناكم الى أن أمامكم الازهر الذي هو المدرسة الاسلامية العظمى فادخلوا فيه ماشئتم من مواد الدراسة واعدوا طائفة منهم للوعظ والارشاد وهداية العامة من المسلمين وغيرهم الى الحق والصواب من قواعد الدين الحنيف وأركانه ولا تستمسكوا بالالقاب والاسماء ولا تقيموا معهدا خاصا لما أردتم فقد نتم عن قوم لاينامون وجاهلتم امر أعدائنا الذين لايغفلون واذا لم يكن لكم بد من اقامة هذه المدرسة فما تدعوها بما يجلب عليها وعلى الاسلام الشقاء من الاسماء

هذه كلمتنا للعقلاء المفكرين من المشتغلين بهذا المشروع . اما النفر المصاب برأيه المنقطع في قوله فما كان لنا أن نعنيه برد ولا نصيحة فليأت العقلاء ماتصون من الأعمال ما تحتمله الاحوال الحاضرة ولا تنافره الظروف السياسية ليقيموا ما شاءوا من المدارس على شريطة ألا يجروا بأسمائها الضخمة وعنوانيها الفخمة

عليها شيئا من البلاء والشقاء وليتقوا الله في العالم الاسلامي فلا يجلبوا عليهم بتسرعهم وعدم تحوطهم أكثر مما نزل بهم. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

☆ ☆ ☆

الرد على هذه المقالة

بينت لنا هذه المقالة التي نشرت يوم الاحد ٢١ المحرم عدة أمور نذكرها مع التعقيب عليها

(١) ان اصحاب جريدة العلم يجدون في كل يوم أفرادا يكثرون اللغط ويطرحون عليهم أسئلة الانكار والاستهجان ويرمونهم بالبدع من الرأي والزور من القول. كل هذا صرحت به العلم، وما سمعنا من أصحاب جريدة الحزب الوطني قبل مثل هذا الاعتراف بانكار الناس عليهم كل يوم شيئا من الاشياء بل ما رأينا المسلمين بمصر اهتموا بمواجهة فرد من الافراد فضلا عن حزب من الاحزاب بالانكار والاستهجان وناهيك استنكار واستهجان ما يكتب في جريدة العلم التي يتحامى الناس الجهر بالإنكار عليها تكريما لانفسهم وصونا لها من هجو جريدة تكتب بمداد من السم، بل العادة الغالبة ان ينتقد الناس المخطىء في غيبته ويسكتون في وجهه ولو علم رئيس تحرير العلم كل ما يقول الناس فيه لتبين له أن مقامه لم يصل في مصر الى درجة يقبل معها كلامه في تقبيح أفضل وأقدس خدمة يخدم بها الاسلام لا عند الحزب الوطني ولا عند الجمهور وانما يمكن أن يقبله بعض الملحدين المارقين من الاسلام دينا وجنسية. ويغلب على ظني ان في المنكرين على الشيخ عبد العزيز شاويش بعض اعضاء الحزب الوطني ولولا ذلك لما غير رأيه وناقض نفسه فيما كتبه أولا وثانيا

(٢) تقول جريدة العلم اليوم ان أوربا تتهم المسلمين بالتعصب الديني وما استطاعوا أن ينجوا من آثار تهمتها بما يعلنونه من سلمهم ومسالمتهم، وان هذه الخدمة تزيد في اتهامهم وعداوتهم للمسلمين فلا ينبغي أن تكون. ونجيبها عن ذلك بأنه اذا كانت أوربا لا يرضيها منا الا ترك شعائر الاسلام وفرائضه أو حتى تتبع ملتهم أفتأمرنا جريدة العلم بأن نترك فرائض ديننا لأجل ارضاء أوربا أو دفع

تهمتها . قد بينا في مقالتنا الثانية التي أرسلناها الى العلم كغيره من الجرائد أن هذا المشروع قيام بثلاث فرائض اسلامية مجمع عليها فكيف ينهانا أن نؤدي فرائض ديننا خوفا من اتهام أوربة إيانا بالتعصب وهو تحصيل حاصل ؟؟

(٣) تسألنا جريدة العلم في معرض الإنكار الى أين نرسل خريجي هذه المدرسة وفرنسة وهولندة وانكلترة لنا بالمرصاد في مستعمراتهن وفي السودان وأقسم الكاتب على أن الاخيرة منهن لابد أن تقيم لهم في السودان المحاكم المخصوصة وتنصب لهم المشانق وتبطش بهم بطش الجبارين ، يريد الكاتب أن يوهم قراءه أن الرحمة والشفقة الفائضتين من قلبه الشريف على الذين سيتخرجون في مدرسة الدعوة والارشاد ويرسلون الى السودان هما اللتان حملتاه على هذا الانكار الشديد لاستعداد المسلمين لأداء هذه الفرائض الدينية فأبرز إنكاره أولا بزعم ان المراد من هؤلاء الدعاة اسقاط دولة الخلافة العثمانية وإنشاء خلافة انكليزية وآخرا بأن الانكليز سيبطشون بهم بطش الجبارين ، ويجعلوهم عبرة للمعتبرين ، ويكون مؤسسو المدرسة هم السبب في ظلم هؤلاء المساكين !!!

ونجيبه (أولاً) بأن الناصح الغيور على المسلمين ، الذي لايعادي الاصلاح والمصلحين ، لايستحل مثل البهتان الذي أرجف به العلم في المسألة من قبل ، (وثانيا) بأن الخوف من ايذاء المسلم في سبيل الله في المستقبل لايبيح له ترك الفرائض والاستعداد لنشر الدعوة ، (وثالثا) بأن المتعاونين على هذا المشروع ومن يربونهم ويعلمونهم ليسوا ممن قال الله فيهم (٢٩ : ١٠ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فهل يرضي أصحاب العلم أن يكونوا منهم

(ورابعا) ان لورد كرومر قال في تقريره الرسمي عن السودان ان الحكومة هناك تسمح للمسلمين بنشر الاسلام وتعليمه فاذا أرسلنا الى هنالك من يطلب منها الاذن له بهذا ولم تأذن له فانه يمكنه ان يرجع الى مصر بحجة ناهضة لجريدة العلم أو مايخلفها تجاهد بها الانكليز ولا يعرض نفسه لبطش الانكليز

(وخامسا) ان السبب في اتهام أوربا إيانا بالتعصب الديني هو السياسة في الغالب وقد امتاز مصطفى كامل باشا وأتباعه في الحزب الوطني بدعوة الوطنية على وجه ينافي

الوحدة الاسلامية ونرى أوربة وغير أهل أوربة كالقبط يتهمون هذا الحزب وجرائده بالتعصب الديني ولم نرهم يتهمون مجلة المنار بذلك وهي دينية تقيم حجج الاسلام وترد شبهات النصارى وغيرهم وتقيم الحجة عليهم . لانها لاتفعل ذلك لاجل السياسة ، وقد قامت جمعية ندوة العلماء في الهند بعمل قريب من العمل الذي شرعنا فيه أو مثله ولم تلق من الانكليز بطش الجبارين بل أعطوها قطعة أرض لتبني مدرستها فيها ، وغاية مانرجو نحن بعملنا الديني العلمي المدني الخالي من كل شائبة سياسية ان لا تعرقله وتضطهده كل حكومات أوربة في مستعمراتها عملا بحرية الدين وقد صرحت هولندة بأنها تأذن لعلماء المسلمين بالارشاد في جاوه ان وجدوا ولا تمنع الا مشايخ الطرق الدجالين ، وسيكون المتخرجون في مدرستنا أبعد المسلمين عن أهواء السياسة ومقاومة الحكومات

(وسادسا) اذا منعنا الاوربيون من مستعمراتهم الاسلامية في افريقية وجزائر المحيط والهند فأمامنا اليابان والصين فإذا تيسر لنا ترقية مسلمي الصين بالارشاد ، وأهل اليابان بالدعوة الى الاسلام ، نكون قد عملنا أفضل الاعمال

(وسابعا) اذا كان ذلك الكاتب في العلم يخاف على هذا المشروع من اضطهاد دول الصليب كما ادعى فلماذا يختار إلصاقه بمشيخة الاسلام في الآستانة ويقول إن ذلك محله الطبيعي ؟ أيجهل انه لايقيم قيامة أوربة عليه شيء كإلصاقه بالدولة العلية ، ان كان يجهل هنا فساسة الآستانة لايجهلونه ، وليعلم ان هذا هو السبب الذي حملني على إيذان شيخ الاسلام وغيره من رجال الآستانة بأني لاأشتغل بالعمل هناك الا اذا كان بعيدا عن السياسة ظاهرا و باطنا ولم يكن له صبغة رسمية

(٤) تسألنا جريدة العلم هل سلكنا ما سلكه أهل الصليب أيام كانوا مثلنا اليوم جهلاء ضعفاء ، من الدعوة من غير جلبة ولاضوضاء ، ؟ ونجيبها نعم أننا أردنا ذلك ولكن مصاب المسلمين بوجود مثل ذلك الكاتب محررا أو رئيس تحرير في جريدة تنتمي الى حزب يعتقد انه يؤيدها ولو بالباطل هو الذي حال بيننا و بين ما نشتهي من السكون والسكوت ، فاذا نفعل اذا كان الذي أثار بيننا الجلبة

والغوغاء هو أقدر أهل بلادنا على الجلبة والضوضاء لأنه هجيراه في حياته ، ومورد رزقه وعنوان جاهه ،

(٥) ينصح لنا ذلك الكاتب المفتات بأن نبدأ بالجهال من أبناء ديننا فنعلمهم ونرشدهم ثم نثني بغيرهم ان وجدنا من أوقاتنا ومجهوداتنا متسعا ، كتب هذا بعد أن قرأ في مقالتنا الثانية التي أرسلناها اليه مع كتاب خاص فلم ينشرها و بعد أن نشرها المؤيد ونشر موضوع المدرسة منها غير المؤيد كالأخبار والأهالي وعلم الالوف من الناس كما علم هو ان هذا هو غرضنا ، وليس هذا ببدع من إرشاد جريدة العلم فقد كانت منذ عهد قريب تقترح من إصلاح قانون الأزهر ما هو منصوص في ذلك القانون لأن رئيس تحرير هذه الجريدة جعل نفسه بغروره مرشدا للحكومة والامة وإن كان ما يأمر به تارة من تحصيل اخاص وتارة من الممتنع شرعا أو عقلا أو قانونا أو عادة، وماذا يهمه ان تمتع بلذة الامر والنهي ، ان يكون ارشاده من العبث واللغو

(٦) أمرنا رئيس تحرير العلم عملا بشنشنته بأن ندخل ما نشاء في مواد الدراسة في الازهر ونعد طائفة من طلابه للارشاد والدعوة ونبانا ان نقيم معهدا خاصا لما أردناه !! وهو يجهل أولا يجهل (الله أعلم) أن امتثال أمره ليس في أيدينا ولا مما يدخل في استطاعتنا . ان الداعي الى هذا المشروع هو العاجز الضعيف صاحب المنار وقد عيره هو بالضعف والعجز في جريدة العلم مرارا وما فعل ذلك إلا إعجابا وغرورا بحوله وقوته واعتزازه بحزبه ، ولكنه نسي مع ذلك انه هو قد عجز على قوته وعظمته عن تغيير شيء من مواد قانون الدراسة في الازهر فكيف يقدر على ذلك هذا العاجز الضعيف الذي لا حزب له ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واذا كان أمره لا يطاع فكذلك نهيه فليترك هذه الرياسة العامة ، في هذه المسألة الخاصة ، أو ليكتف بالارجاف والتشهير ، ان كان مصرا على مقاومة هذا العمل الشريف

(٧) ناقض العلم نفسه كعادته فأذن في آخر مقالته للعقلاء المخلصين منا بالأعمال التي تحتملها السياسة وان يقيموا ما شاؤا من المدارس « على شريطة أن لا يجروا

شيئا بأسمائها الضخمة وعناوينها الفخمة عليها من البلاء والشقاء » ونهاهم « أن يجلبو على العالم الاسلامي بتسرعهم وعدم تحوطهم اكثر مما نزل به » !!! وغرضه من هذا الأمر إن أطيع فيه أن يتلذذ بنفوذه في إبطال المشروع أو عنوانه الدال عليه ،

وما رأينا في غرائب هذا الكاتب وبعده عن المعقول أبعد عن الصواب من توهمه أو إيهامه ان البلاء والشقاء سينزلان بالعالم الاسلامي بسبب كلمة الدعوة والارشاد وان الاوربيين مثله يحفلون بالالفاظ دون المعاني والحقائق . وأما المشتغلون بتنفيذ هذا المشروع فيريدون أن يكون ظاهرهم كباطنهم وقولهم كفعلهم ويعلمون انهم لا يقدرون على غش الاوربيين وخداعهم إن أرادوا ذلك — وهم لا يريدونه كغيرهم — ولذلك يصرحون بأنهم يربون طائفة من الطلاب ويعلمونهم ما يقدرون به على الدعوة والارشاد والتعليم ، ويرسلونهم الى أحوج البلاد الاسلامية اليهم ثم الى البلاد الوثنية ثم الى غيرها كما بينا في المقالة الثانية من تقديم الاهم على المهم بحسب الاستطاعة وسيسيرون على سنة الله تعالى في أمثالهم من المصلحين ، وقد وعد الله تعالى باظهار هذا الدين كله ولو كره الكافرون ، وكان وعده مفعولا في كل حين

وقصارى الكلام ان جريدة العلم قد خرجت عن منهج الرشد ، وأسرفت في البعد عن الحق ، بالغلو في مقاومة هذا المشروع المفروض ، بما لا يقبله الا من اتبع كل ناعق فيما يقول ، لحرمانه من حرية الفكر ، وعطله من حلية استقلال الرأي ، فهاجمته أولا بالارجاف السياسي وايهام الناس انه سيكون من القوة ، بحيث يسقط دولة المسلمين ويؤسس دولة للانكليز ، ثم بايهامهم بعد ثلاثة أيام انه من الضعف بحيث يجزم الكاتب ويحلف بأن الانكليز سوف يسومون أهله سوء العذاب !!! حار الكاتب في هذا الامر وحاص ، وناقض نفسه عدة مرات ، ثم تنصل من عداوة المشروع ومقاومة أهله وادعى انه ناصح ولو كان ناصحا لنشر مقالتنا الثانية وجعل النصيحة بيننا وبينه ، على اننا ننصح له كما نصح لنا بأن يحاسب نفسه فيما يكتب بينه وبين الله ولا يقفو ما ليس له به علم ، عملا بكتاب الله عز وجل ، وليقل خيرا أو ليصمت ، عملا بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وان يرجع الى الحق فذلك خير من الاصرار على الباطل كما هي سنة

السلف الصالح ، فان قبل النصيحة عاد من التشنيع والتشهير والتشكيك والتهديد والوعيد الى بيان محاسن المشروع والحث عليه والترغيب فيه ويكون عمل بحديث « وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (رواه أحمد والترمذي عن أبي ذر ومعاذ) وحينئذ يجعل النصيحة بينه وبين القائمين باحياء هذه الفرائض التي يرجى بها تجديد دعوة الاسلام ان شاء الله تعالى كما هو شأن المخلصين في نصحهم الذين لا يقصدون به الرياء والدعوى ، وان أخذته العزة بالاثم ولم يعمل بهذه النصيحة فحسبه غروره وتغريره ، وعاقبة عدوانه ومصيره ، وحسبنا الله فهو أغير على دينه من جميع عبيده المؤمنين ، والعاقبة المتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين

انذار للمرجفين

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في مصر بمشروع الدعوة والارشاد لنكشفن الستار عن السر الخفي الذي آلى على نفسه ذلك الرئيس في الآستانة أن يحارب به الاسلام وعهد باسم جمعيته السرية الى مندوبه في مصر ان ينصره فيه ظالما ومظلوما باسم الانتصار للدولة العلية ومحاربة أعدائها ، فصديق الدولة الحقيقي من يخدم الاسلام ، وأعدى أعدائها من يخذل أي مشروع إسلامي في أي مكان ، ولا خير لها في إصلاح يضع أساسه يهود أوربا في سلانيك ، ويؤيدهم فيه ملاحدة الروملي والاناطول ، وان شايعهم عليه المندوب الاخرق ، ومحرره البذيء الاحمق ، وتضافروا على نصر الباطل وخذل الحق ، نعم اننا نكشف الستر ، ونفشي ذلك السر ، الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه السنة ، ولا نخشى في ذلك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، فاننا لم نحلف عليه يمينا ، ولم نعاهد عليه أحدا عهدا ، وانما جاءنا من مصادر شتى في الآستانة يتمنى رواتها لو يعرفه المسلمون ، ولكنهم لا يأذنون الآن بذكر أسمائهم ، ولا الاشارة الى سماتهم ، بل سمعنا بآذاننا ، وشهدنا بأنفسنا ، في مقام الجهر ، لا في زوايا السر ، ما لا يمكن دفعه ، ولا يستطاع دحضه ،